الفصل الثالث

القول بوحدة الوجود !!

نشطت حركة الترجمة والنقل خلال العصر العباسى الأول (١٣٢ ــ ٦٥٦ هـ) .. بعد أن شجع الخلفاء العباسيون الترجمة .. فأخذ العرب ينقلون التراث اليونانى والسريانى والفارسى ، وغيره الى اللغة العربية ..

بل ان بعض المفكرين ألفوا من عند أنفسهم أشياء لا تحمل من التراث الأجنبى الا العناوين .. سعيا وراء الربح بعد أن راجت سوق الترجمة والنقل ..

ولا غضاضة فى نقل النتائج التى يتوصل اليها العقل الانسانى الناضج .. ولكن لا يجب أن يزاحم به وحى السماء ..

ولكن .. حدث هذا ، فكان للتوسع فى الترجمة الشر الكبير على الثقافة الاسلامية ..

غير أن عناصر المقاومة التى نهضت فى الكيان الاسلامى لصد هذا الغزو الثقافى لم تنجح تماما فى القضاء عليه .. فبقيت فى بعض المؤلفات الدينية آثار لهذا الغزو الوافد ..

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى : « كان أشد النواحى الدينية استقبالا للغزو الأجنبى : علم الكلام والتصوف .. ولا يصعب أن يميز الدخيل من الأصيل فى هذه الميادين .. الا أن المزج يبلغ أحيانا درجة كبيرة من المهارة ..

« فانكار المعتزلة لصفات المعانى .. تأثروا فيه بتفسير أرسطو للوحدانية المطلقة .. لقد ظل أرسطو يشرح الوجود الالهى الأعلى ،

وينزه هذا الوجود من كل شيء الا التأمل الذاتى .. فالاله — من ذاته — يعلم ويقدر ولا شيء الا الذات ..

« وكلام أرسطو لا يسلم له .. وفيه مبالغات ظاهرة .. ومع ذلك فان بعض علماء المسلمين مالوا اليه .. وقالوا : ان القول بوجود الصفات قول بتعدد القدماء .. وعقدوا مباحث سخيفة لهذه القضية وشغلوا بها جمهور الأمة !!

« ولأرسطو منطق ذكى يساعد على الجدل ، ولا تزيد به المعارف الانسانية .. وقد رحب المسلمون ترحيبا حارا بهذا المنطق .. حتى جاءت الحضارة الحديثة فأنزلته عن عرشه ..

« ثم ان التصوف الاسلامى تأثر بالتصوف الهندى والتصوف النصرانى وبعض الأفكار الاغريقية .. ومن السهل أن تذم الدنيا بحجة الاقبال على الآخرة .. وأن تحارب الجسد بحجة الاقبال على الروح .. وأن تتبل مبادىء من وحدة الوجود بحجة الاستغراق فى وحدة الشهود ..

« وقد حمل علم التصوف جملة من هذه الأخطاء النفسية والفكرية وأشاعها بين جمهور المسلمين .. وكان له أثر عميق فى بلبلة العقل الاسلامى ومخاصمته للفقه الموزون ..

« وأعان التصوف على بلوغ هذه الغاية اخلاص رجاله وحماسهم ، وغلبة الصناعة والارتزاق على نفر من أهل الفقه والفتوى ..

« والغريب أن خرافات الفلسفة الالهية عند الاغريق وغيرهم تبناها بعض المفكرين العرب ، فوجد بينه من يقول بالأفلاك والعقول والعنقاء والغول !! تقليدا لليونان ، والموضوع كله هزل !!

« أين كانت الخلافة العباسية فى أثناء الهجوم على الذكر الاسلامى بهذه الطريقة الوضيعة ؟

« لم تكن تكترث بالنتائج !!

« وعنـــدما تحركت الخلافة تحركت لتنصر انحراف المعتزلة فى بعض القضايا الكلامية .. وأمرت بسجن وجلد ابن حنبل الذى كان يعتبر زعيم المحافظين فى ذلك الوقت ..

« على أن علماء الاسلام ، ووراءهم السواد الأعظم من الأمة .. قاوموا هذا الغش المفروض على ثقافتهم الدينية مقاومة ناضجة ..

« وأمكن حصر الاسرائيليات والنصرانيات والاغريقيات .. وكل القمامات الفكرية التى أرادت الالتصاق بالرسالة الخاتمة .. وتم تحذير الناس منها ..

« والواقع أن أصول الاسلام بقيت معصومة .. غير أننا لا ننكر أن أوهاما ومبتدعات ومرويات واهية وآراء سقيمة لا تزل تحيا بين ظهرانينا .. ما يبصرها الا أولوا النهى »[1] .

فى هذا العصر .. ظهر أبو بكر محيى الدين بن عربى (٥٦٠ — ٦٣٨ هـ) .. وكان ابن عربى شيخ المتصوفة فى وقته .. وكان له أتباع ومريدون يعجبون به الى حد كبير .. حتى لقبوه فيما بينهم بالشيخ الأكبر ، والعارف بالله ..

كما كان له أعداء ينقمون عليه ويرمونه بالكفر والزندقة .. وذلك لما كان يدين به من القول بوحدة الوجود ، ولما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة التى تحمل فى ظاهرها كل معانى الكفر والزندقة .. وبلغ من عداوة بعض الناس له أنهم حاولوا اغتياله بمصر ..

وابن عربى .. هو أول من قال فى الفكر الاسلامى بوحدة الوجود .. « ومذهبه فى وحدة الوجود أنه يرى الوجود حقيقة واحدة .. ويعد التعدد والكثرة أمراً قضت به الحواس الظاهرة ..

وقد أداه القول بوحدة الوجود الى القول بوحدة الأديان .. لا فرق بين أديان سماوية أو غير سماوية .. فالكل يعبدون الاله

---

(١) الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر — للشيخ محمد الغزالى ، نشر مكتبة وهبة ، ص ٢٩ ، ٣٠

الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات .. والغاية الحقيقية من عبادة العبد لربه هو التحقق من وحدته الذاتية معه .. وانما الباطل من العبادة أن يقصر العبد ربه على مجلى واحد دون غيره ويسميه الهـاً »[٢] .

وقد تأثر ابن عربى بالنظريات الفلسفية الكونية .. وراح يطبق كثيرا من الآيات القرآنية على هذه النظريات ..

● يقول تعالى فى شأن ادريس عليه السلام : « **ورفعناه مكانا عليا** »[٣] .. أى أنه تعالى رفع ادريسا الى مكان عال مرتفع — وقيل انه رفع وهو حى الى السماء الرابعة — ويفسرها البعض بأنه تعالى رفع ذكره وأعلا قدره بشرف النبوة والرسالة ..

ولكن ابن عربى يفسر هذه الآية بقوله : « وأعلا الأمكنة : المكان الذى تدور عليه رحى عالم الأفلاك ، وهو فلك الشمس .. وفيه مقام روحانية ادريس .. وتحته سـبعة أفلاك ، وفوقه سـبعة أفلاك .. وهو الخامس عشر » ..

وبعد أن يذكر الأفلاك التى تحته والتى فوقه يقول : « وأما علو المكانة فهو لنا — أعنى المحمديين — كما قال تعالى : « **وأنتم الأعلون والله معكم** »[٤] فى هذا العلو .. وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة » !! [الفصوص جـ ١ ص ٢٦] .

● ويقول تعـالى : « **ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسـول بما لا تهـوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** »[٥] .

---

(٢) التفسير والمفسرون — للدكتور محمد حسين الذهبى ، نشر مكتبة وهبة ، جـ ٢ ص ٤٠٨

(٣) مريم : ٥٧ (٤) محمد : ٣٥

(٥) البقرة : ٨٧

والمعنى — والله أعلم — أن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام التوراة .. وأتبع الرسل بعضهم بعضا على منهاج واحد وشريعة واحدة .. وآتى عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات الدالة على نبوته من احياء الموتى وابراء الأعمى والأبرص ونحو ذلك من الآيات .. وأنه تعالى قواه وأعانه بالروح المطهرة — وهو جبريل عليه السلام — أفكلما جاءكم يامعشر اليهود رسول من الرسل بغير الذى تهواه نفوسكم استكبرتم عليهم بغيا وتجبرا ، فكذبتم بعضا منهم ، وقتلتم البعض الآخر .. وهكذا فعلكم أبدا برسل الله !!

هذه الآية الواضحة .. يفسرها ابن عربى بقوله : « والظاهر أن جبرائيل هو العقل الفعال .. وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بأرزاق العباد .. واسرافيل هو روح الفلك الرابع وعقله المفيض للنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالحيوانات ..... وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالأرواح الانسانية كلها ، يقبضها بنفسه أو بالوسائط التى هى أعوانه ويسلمها الى الله تعالى » !! [تفسير ابن عربى ج ١ ص ٥١]

● ويقول تعالى : **« مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان »**(٦) .

أى أنه تعالى ترك وأرسل بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان .. وجعل بينهما حاجزا وبعداً لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه ، ولا يتجاوزان حد الله الذى حده لهما ..

يقول الطبرى : « عنى به بحر السماء وبحر الأرض ، وذلك أنه تعالى قال : **« يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »**(٧) ، واللؤلؤ والمرجان انما يخرجان من أصداف بحر الأرض عن قطر السماء ، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء » ..

ولكن ابن كثير يدفع هذا التفسير فيقول : « ... وهذا لا يساعده

---

(٦) الرحمن : ١٩ ، ٢٠ (٧) الرحمن : ٢٢

اللفظ فانه تعالى قد قال : « **بينهما برزخ لا يبغيان** »[٨] .. أى وجعل برزخاً — وهو الحاجز — من الأرض لئلا يبغى هذا على هذا ، وهذا على هذا .. فيفسد كل واحد منهما الآخر .. وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخاً وحجرا محجورا ..

يقول تعالى فى سورة الفرقان : « **وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا** »[٩] .. فالمقصود هنا بالبحرين : الحلو والمالح .. وهو الأوضح ..

هذا هو التفسير الذى يقبله العقل ويتفق مع سياق اللغة .. ولكن ابن عربى يفسر هاتين الآيتين بقوله : « **مرج البحرين** » : بحر الهيولى الجسمانية الذى هو الملح الأجاج ، وبحر الروح المجرد الذى هو العذب الفرات .. «**يلتقيان**» فى الوجود الانسانى .. «**بينهما برزخ**» هو النفس الحيوانية التى ليست فى صفاء الروح المجردة ولطافتها ، ولا فى كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها .. « **لا يبغيان** » : لا يتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بخاصيته .. فلا الروح يجرد البدن ويخرج به ويجعله من جنسه ، ولا البدن يجسد الروح ويجله ماديا » !!

[تفسير ابن عربى ج ٢ ص ٢٨٠]

ويتضح لنا جليا .. من هذا التفسير العجيب لهذه الآيات الثلاث .. تأثر ابن عربى بالنظريات الفلسفية الكونية ، والتى تقول بأن الأفلاك هى التى تسيطر على مصائر المخلوقات وتحركها ، كما يتضح تأثره بنظرية العقول الفعالة التى قال بها أرسطو ..

ويقول فضيلة الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله : « ... كذلك نرى ابن عربى يتأثر فى تفسيره للقرآن بنظرية وحدة الوجود .. التى هى أهم النظريات التى بنى عليها تصوفه .. فنراه فى كثير من الأحيان يشرح الآيات على وفق هذه النظرية .. حتى انه ليخرج بالآية عن مدلولها الذى أراده الله تعالى »[١٠] .

---

(٨) الرحمن : ٢٠ (٩) الفرقان : ٥٣

(١٠) التفسير والمفسرون ، المرجع السابق ج ٢ ، ص ٣٢٨

ولهذا نرى ابن عربى حين يفسر فاتحة الكتاب يقول : « ... فاذا وقع الجدار ، وانهدم الصور ، وامتزجت الأنهار ، والتقى البحران ، وعدم البرزخ .. صار العذاب نعيما ، وجهنم جنة .. ولا عذاب ولا عقاب .. الا نعيم وأمان ، بمشاهدة العيان » !!

ويعقب الآلوسى على ذلك قائلا : « وهذا وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه « أهل الذوق » ، ولا ينافى ما وردت به القواطع » !!

ثم يقول : « واياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه .. وكلما وجدت مثل هذا الأمر من « أهل الله تعالى » .. فسلمه لهم بالمعنى الذى أرادوه مما لا تعلمه أنت ولا أنا .. لا بالمعنى الذى ينقدح فى عقلك المشوب بالأوهام .. فالأمر — والله — وراء ذلك »(١١) !!

هذا ما يقوله الآلوسى تعقيبا على رأى ابن عربى .. والآلوسى صوفى يدين بوحدة الوجود ، فلا عجب أن نراه يسلم بما قاله ابن عربى!!

ويعلق النابلسى على ذلك بقوله : « وأما ما ذهب اليه الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى فى كتابه « الفتوحات المكية » وغيره .. من أن عذاب الكفار ينقلب عذوبة ، فيتلذذون به بعد انقضاء مدة الألم ، فهو أمر مبنى على الكشف عن أسرار الحقائق الأخروية ، وليس فيه مخالفة لما ذكرناه من مذهب الجمهور : أن عذاب الكفار فى النار دائم أبدى ، وانما فيه الاخبار عن أحوالهم وقت العذاب الأبدى بحسب النشأة الأخروية !!

فان الله تعالى حين يضع قدمه فى النار — كناية عن التجلى لأهل النار بصفات الجلال — ينزوى بعضها الى بعض كما ورد فى الحديث فتقول : « قد .. قد » وفى رواية : « قط .. قط » .. يعنى : يكفينى .. يكفينى ، وذلك حين يشتد غضب الله تعالى على أهل النار ، فيزداد العذاب عليهم ، وحين يشتد الغضب تشتد الرحمة أيضا ، لأنها سبقت

---

(١١) تفسير الآلوسى ج ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وانظر المرجع السابق ص ٣٦١

الغضب كما ورد التصريح بذلك [يقصد حديث : « رحمتى سبقت غضبى »] ، فيتعذبون من جهة اشتداد الغضب ، ويتلذذون من جهة اشتداد الرحمة !!

أرأيت أن الانسان اذا كانت له قرحة يكثر ألمه بسببها ، وقد علم شفقة الطبيب عليه عند فصده فيها ، ربما يتلذذ بما يدركه منها من الألم عند مباشرة الطبيب لذلك القصد ، مع أنه أكثر ألماً مما كان من قبل ؟ !

فعذاب أهل النار لا يزول أبدا ، وكذلك تألمهم بذلك العذاب لا يزول أبدا أيضا .. ولكن اذا غاب الادراك عنهم من شدة العذاب لا يدركون العذاب .. ويغيبون عن أنهم يتألمون به غاية التألم ، لاشتغالهم بجمال الجلال الالهى .. كما أن أهل الجنة اذا رأوا ربهم ينسون نعيم الجنة ، ولا يشعرون بأنهم مدركون له ، لاشتغالهم بجمال الجلال الالهى .. فان الله تعالى له هاتان الصفتان : صفة الجلال ، وصفة الجمال .. فيتجلى لأهل الجنة بصفة الجمال ، ولأهل النار بصفة الجلال .. وكل صفة من هاتين الصفتين فيها من الصفة الأخرى ، لأن الموصوف بهما واحد ، فالجمال باطنه جلال ، والجلال باطنه جمال .. ولا يزال الأمر هكذا أبد الآبدين ، ودهر الداهرين !!

واياك أن تظن أن الشيخ الأكبر ابن عربى ، يقول بانقضاء العذاب عن الكفار وزواله عنهم ، وانما مراده ما ذكرناه فى حقيقة أمره .. ولكن اختلفت عباراته ، وتوزعت اشاراته ، وضاقت عن معنى ما أراده ساحة الكامات ، فظن الجاهل بمراده أنه يقول بانقطاع العذاب الأبدى عن الكفار ، ورتب على هذا انكار النصوص القطعية . . وحاشاه من ذلك »[١٢] .

أين هذا الزعم الضال من قول الله تعالى : **« ان الذين فتنوا**

---

(١٢) انظر « حقائق الاسلام وأسراره » لعبد الغنى النابلسى ، نشر دار التراث العربى ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٣ — ١٢٥

المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ذلك الفوز الكبير . ان بطش ربك لشديد »(١٣) . **هل** يصير العذاب نعيما ، وتصير جهنم جنة ، ويئول الأمر الى أنه لا عذاب ولا عقاب .. الا نعيم وأمان بمشاهدة العيان ؟ !

أليس هذا كلام الله ؟ .. ألم يتوعد القرآن الكافرين بالعذاب الأليم فى نار جهنم ، ويبشر المؤمنين بالنعيم المقيم فى الجنة ؟

أم أن القرآن يخص عوام الناس : أهل الشريعة ، فى حين تخص عقيدة الوحدة الخواص وخواص الخواص من أهل الحقيقة ؟ !

سبحانك ربى .. هذا افك عظيم !!

● ويقول تعالى : « **ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم** »(١٤) .

أى ان الذين جحدوا بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ .. قد تساوى عندهم الانذار أو تركه .. فانهم لا يؤمنون بعد أن طبع الله على قلوبهم وأسماعهم .. فلا يكون للايمان اليها مسلك .. ولا للكفر منها مخلص ..

لقد طبع الله على قلوبهم وأسماعهم .. كما يطبع ويختم على الأوعية والظروف .. وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون سبيل الهدى ، ولهم العذاب العظيم على تركهم طاعة الله وفرائضه ..

وقد كان الرسول ﷺ يحرص على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى .. فأخبره تعالى أنه لن يؤمن الا من سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول .. ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء فى الذكر الأول ..

---

(١٣) البروج : ١٠ — ١٢ (١٤) البقرة : ٦ ، ٧ .

ولكن ابن عربى يفسر هذه الآية من منطلق وحدة الوجود .. فيقول :

« يامحمد .. ان الذين كفروا ستروا محبتهم فى .. دعهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذى أرسلتك به ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك .. فانهم لا يعقلون غيرى .. وأنت تنذرهم بخلقى ، وهم ما عقلوه ولا شاهدوه (!!)

« وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيرى ، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما فى العالم الا منى .. وعلى أبصارهم غشاوة من بهائى عند مشاهدتى فلا يبصرون سواى (!!)

« ولهم عذاب عظيم عندى : أردهم بعد هذا المشهد السنى الى انذارك ، وأحجبهم عنى — كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا ، أنزلتك الى من يكذبك ، ويرد ما جئت به اليه منى فى وجهك ، وتسمع ما يضيق له صدرك .. فأين ذلك الشرح الذى شاهدته فى اسرائك ؟ .. فهكذا أمنائى على خلقى الذين أخفيتهم رضاى عنهم » !!

[الفتوحات المكية جـ ١ ص ١١٥]

ونقول : أى افك وأى افتراء .. تريد هذه النظرية الضالة أن تبثه فى عقول الناس ؟ !

المشركون — فى هذا النص الخطير — لا يعقلون سوى الله تعالى !! ..

وقلوبهم مملوءة بمحبته ، فليس فيها متسعا لغيره !!

وأسماعهم ختم الله عليها فلا يسمعون كلاما فى العالم الا منه !!

وأبصارهم .. لا تبصر سوى بهائه تعالى .. فلا يبصرون سواه !!

والعذاب الذى أعده الله لهم .. هو أن يردهم بعد هذه المشاهد السنية الى انذار الرسول .. فيحجبهم ذلك الانذار عن الله تعالى !!

سبحانك ربى .. هذا بهتان عظيم !!

● ويقول جل شأنه : « **والهكم اله واحد ، لا اله الا هو الرحمن الرحيم** »(١٥) .

ومعناها — والله أعلم — أن معبودكم — أيها الناس — الذى يستحق العبادة ، معبود واحـد لا رب سواه ، فلا تعبدوا غيره ، ولا تشركوا به سواه .. فانه تعـالى لا مثيل له ولا نظير .. وهو الرحمن الرحيم ..

والله تعالى .. يقيم للناس — بهذه الآية — الحجة والبرهان على وحدانيته .. فقد نبه بآثار مخلوقاته على وجوده ووحدانيته بأبلغ حجة وأوضح بيان ..

غير أن ابن عربى يفسر الآية بقوله : « ان الله تعالى خاطب فى هذه الآية المسلمين .. والذين عبدوا غير الله قربة الى الله فما عبدوا الا الله .. فلما قالوا : « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** »(١٦) ، فأكدوا ذكر العلة ، فقال الله لنا : ان الهكم والاله الذى يطلب المشرك القربة اليه بعبادة هذا الذى أشرك به واحد .. كأنكم ما اختلفتم فى أحديته .. فقـال : « والهكم » .. فجمعنا واياهم اله واحـد .. فما أشركوا الا بسببه فيما أعطاهم نظرهم (!!)

« ومن قصد من أجل أمر ما .. فذلك الأمر على الحقيقـة هو المقصود لا من ظهر أنه قصد .. كما يقال : من صحبك لأمر أو أحبك لأمر ولى بانقضائه ..

« ولهذا ذكر الله أنهم يتبرأون منهم يوم القيامة .. وما أخذوا الا من كونهم فعلوا ذلك من نفوسـهم .. لا أنهم جهلوا قدر الله فى ذلك (!!)

« ألا ترى الحق .. لمـا علم هذا منهم كيف قال : « **والهكم اله واحـد** » ونبههم فقال : « **قل سموهم** »(١٧) .. فيذكرونهم بأسمائهم المخالفة أسماء الله ..

---

(١٥) البقرة : ١٦٣ .
(١٦) الزمر : ٣ .
(١٧) الرعد : ٣٣ .

« ثم وصفهم بأنهم فى شركهم قد ضلوا ضلالا بعيدا ، أو مبينا .. لأنهم أوقعوا أنفسهم فى الحيرة لكونهم عبدوا ما نحتوا بأيديهم .. وعلموا أنه لا يسمع ولا يبصر ، ولا يغنى عنهم من الله شيئا .. فهى شهادة من الله بقصور نظرهم وعقولهم !!

« ثم أخبرنا الله .. أنه قضى ألا نعبد الا اياه .. بما نسبوه من الألوهية لهم ، أى جعلوهم كالنواب لله والوزراء كأن الله استخلفهم !!

« ومن عادة الخليفة .. أن يكون فى رتبة من استخلفه عند المستخلف عليه .. فلهذا نسبوا الألوهية لهم ابتداء من غير نظر فيمن جعل ذلك ..

« وقول من قال : « **أجعل الآلهة الها واحدا** »(١٨) ؟ .. انما كان من أجل اعتقادهم فيما عبدوه أنهم آلهة دون الله المشهود له عندهم بالعظمة على الجميع .. فأشبه القول ما ثبت فى الشرع الصحيح من اختلاف الصور فى التجلى !!

« ومعلوم عند من يشاهد ذلك أن الصورة ما هى الصورة .. وكل صورة لابد أن يقول المشاهد لها : انها الله .. لكن لما كان هذا من عند الله ، وذلك الآخر من عندهم .. أنكر عليهم التحكم فى ذلك ، كما ثبت من قوله تعالى : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** »(١٩) .. هذا حقيقة ، فوجه الله موجود فى كل جهة يتولى أحد اليها !!

« ومع هذا .. لو تولى الانسان فى صلاته الى غير الكعبة ، مع علمه بجهة الكعبة ، لم تقبل صلاته .. لأنه ما شرع له الا استقبال هذا البيت الخاص بهذه العبادة الخاصة .. فاذا تولى فى غير هذه العبادة التى لا تصح الا بتعيين هذه الجهة الخاصة ، فان الله يقبل ذلك التولى !!

« كما أنه لو اعتقد أن كل جهة يتولى اليها ما فيها وجه الله لكان كافرا وجاهلا .. ومع هذا فلا يجوز له أن يتعدى بالأعمال حيث شرعها الله ..

---

(١٨) سورة ص : ٥ . (١٩) البقرة : ١١٥ .

« ولهذا اختلفت الشرائع .. فما كان محرما فى شرع ما ، حلله الله فى شرع آخر ، ونسخ ذلك الحكم الأول فى ذلك المحكوم عليه بحكم آخر .. فى عين ذلك المحكوم عليه ..

« قال الله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** »(٢٠) .. فما نسخ من شرع واتبعه من اتبعه بعد نسخه ، فذلك المسمى هوى النفس الذى نهاه الله فيه لخليفته داوود : « **انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق** »(٢١) .. يعنى الحق الذى أنزلته اليك ، « **ولا تتبع الهوى** »(٢١) وهو ما خالف شرعك ، « **فيضلك عن سبيل الله** »(٢١) .. وهو ما شرعه الله لك على الخصوص » ..

ثم يقول : « فاذا علمت ذلك ، وتقرر لديك .. علمت أن الله اله واحد فى كل شرع عينا ، وكثير صورة وكونا .. فان الأدلة العقلية تكثره باختلافها فيه .. وكلها حق ومدلولها صدق .. والتجلى فى الصورة كثرة أيضا لاختلافها .. والعين واحدة !!

« فاذا كان الأمر هكذا فما تصنع ؟ .. أو كيف يصح لى أن أخطىء قائلا ؟ ..

« ولهذا لا يصح خطأ من أحد فيه .. وانما الخطأ فى اثبات الغير وهو القول بالشريك ، فهذا القول بالعدم .. لأن الشريك ليس ثم ، وذلك لا يغفره الله .. لأن الغفر الستر ، ولا يستر الا من له وجود .. والشريك عدم فلا يستر .. فهى كلمة التحقيق : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به** »(٢٢) .. لأنه لا يجده .. فلو وجده لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها ..

« وما فى الوجود من يقبل الأضداد الا العالم من حيث ما هو واحد .. وفى هذا الواحد ظهرت الأضداد .. وما هى الا أحكام عين الممكنات فى عين الوجود .. التى بظهورها علمت الأسماء الالهية المتضادة وأمثالها » !! [الفتوحات المكية ج ٤ ص ١٠٦ ، ١٠٧]

---

(٢٠) المائدة : ٤٨ .
(٢١) سورة ص : ٢٦ .
(٢٢) النساء : ١١٦ .

ونقول : هنا تتجلى وحدة الوجود بأجلى صورها .. فالمؤمنون والمشركون — طبقا لهذا التأويل الفاسد — لا يختلفون فى أحدية الله !! .. وانما يعبدون الها واحدا !! .. وما عبادتهم للأصنام الا من قبيل اتخاذها نواباً ووزراء لله !! .. واعتقادهم فيما عبدوه أنهم آلهة من دون الله أشبه ما يكون — فى نظرهم — بما ثبت من الشرع الصحيح من اختلاف الصور فى التجلى !!

هل لمسلم — مهما كان أمره — أن يقبل مثل هذا التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود ؟ أو ذلك التفسير الذى يقوم على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ؟

اننا لا يمكن — أبدا — أن نقبل مثل هذا الكلام .. لأنه لا يتفق مع مراد الله تعالى ومقصوده الذى جاء القرآن من أجله ..

ومرة ثانية .. نقول : أى افك وأى ضلال تريد هذه النظرية أن تبثه فى عقول الناس ؟ !

● ويقول تعالى : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه »**[٢٣] .

أى : أنه تعالى .. حكم وأمر ألا نعبد سواه ..

ولكن ابن عربى يفسر الآية بقوله : « ... علماء الرسوم يحملون لفظ « قضى » على الأمر .. ونحن نحمله على « الحكم » كشفا ، وهو الصحيح .. فانهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء الا لتقربهم الى الله زلفى .. فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم .. وما ثم صورة الا الألوهية فنسبوها اليهم .. ولهذا يقضى حوائجهم اذا توسلوا بها اليه غيرة منه على المقام أن يهتضم ، وان أخطأوا فى النسبة فما أخطأوا فى المقام .. ولهذا قال : **« ان هى الا أسماء سميتموها »**[٢٤] .. أى أنتم قلتم عنها انها آلهة ، والا فسموهم ..

« فلو سموهم لقالوا : هذا حجر أو شجر ، أو ما كان .. فتتميز عندهم بالاسمية .. اذ ما كل حجر عبد ولا اتخذ الهاً ، ولا كل شجر ،

---

(٢٣) الاسراء : ٢٣ (٢٤) النجم : ٢٣

ولا كل جسم منير ، ولا كل حيوان .. فلله الحجة البالغة عليهم بقوله : « **قل سموهم** »[٢٥] !! [الفتوحات ج ٣ ص ١١٧]

ونقـــول : ها قد انكشف المخبوء ، وانفضح المستور .. فهـذا ابن عربى يبرر لعبـــدة الأحجار والأشـــجار عقيدتهم .. فانهم — فى تصـــوره — لم يعبدوها لذاتها ، وانما اتخذوها وسائل لقضـــاء الحوائج !!

ثم يزعم أن الله تعالى يقضى هذه الحوائج اذا اتخذ الناس هذه الوسائل .. وهو مدخل خطير لتقديس القبور وعبادة المقبورين .. فانهم — فى زعمه — ما عبدوهم فى الحقيقة وانما اتخذوا المقبورين وسائل لقضاء الحاجات !!

● ويقول تعالى : « **واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا . رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا** »[٢٦] ..

أى : اذكر اســـم ربك فادعه به .. وانقطع اليـــه انقطاعاً تاماً لحوائجك وعبادتك .. أى أخلص له المسألة والدعاء .. لأن الله تعالى رب المشرق والمغرب وما بينهما من العالم .. فلا ينبغى أن يعبد سواه .. ففوض اليه جميع أمورك ، واقصده فى كل حوائجك ..

ولكن ابن عربى يفسر الآية بقوله : « ... واذكر اسم ربك الذى هو أنت .. أى اعرف نفسك .. واذكرها ولا تنسها فينسك الله .. واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها ..

« **رب المشرق والمغرب** » .. أى الذى ظهر عليك نوره .. فطلع فى أفق وجودك بايجادك .. أو المغرب الذى اختفى بوجودك ، وغرب نوره فيك واحتجب بك » !! [تفسير ابن عربى ج ٢ ، ص ٣٥٢]

أرأيتم كيف قادته عقيدة الوحدة الى أن الرب عبد والعبد رب ؟ ! أرأيتم كيف يقول مبتدع نظرية الوحدة أن ربك هو أنت ؟ ! وأنك حين تعرف نفسك فقد عرفت ربك .. وأن المشرق والمغرب ليس مشرق العالم ومغربه .. انما هما ظهور نور الله عليك حين أوجدك .. وغروبه فيك واحتجابه بك ؟ !

---

(٢٥) الرعد : ٣٣ (٢٦) المزمل : ٨ ، ٩

أرأيتم ماذا يريدون أن يغرسوا بعقيدتهم — الشاذة — فى عقول المسلمين ؟ !

● ويقول تعالى : « **فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى** »[٢٧] ..

أى : فادخلى فى عبادى الصالحين ، وادخلى جنتى دار المتقين ..

ولكن ابن عربى يفسرها بقوله : « ادخلى جنتى التى هى سترى ، وليست جنتى سواك .. فأنت تسترنى بذاتك الانسانية فلا أعرف الا بك .. كما أنك لا تكون الا بى .. فمن عرفك عرفنى .. وأنا لا أعرف فأنت لا تعرف .. فاذا دخلت جنتى دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التى عرفتها حين عرفتك ربك بمعرفتك اياها .. فتكون صاحب معرفتين : معرفة به من حيث أنت ، ومعرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت .. فأنت عبد رأيت ربا ، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد .. وأنت رب وأنت عبد لمن له فى الخطاب عهد » !!

[الفصوص جـ ١ ، ص ١٩١ — ١٩٣]

هل فهمتم شـــيئا ؟ !

الجنة — عند ابن عربى — هى النفس الانسانية — أى الستر — فليست الجنة سوى أنفس الناس .. فالناس يسترون الله بذواتهم فلا يعرف الا بهم ، كما أنهم لا يكونون الا به تعالى !!

فمن عرف نفسه عرف الله ، واذا لم يعرف الله لم تعرف النفس ..

فاذا ما دخل العبد جنته — أى نفسه — فانه يعرف ذاته معرفة أخرى غير المعرفة التى عرفها حين عرف ربه بمعرفته اياها ..

وبهذا يكون العبد صاحب معرفتين : معرفة بالله تعالى من حيث هو عبد ..

ومعرفة بالله بمعرفته لنفسه من حيث كونه الهاً .. لا من حيث نفس العبد ..

---

(٢٧) الفجر : ٢٩ ، ٣٠

وبهذا يكون العبد بمعرفته لنفسه ، قد عرف ربه .. فالعبد رب لمن للرب فيه هو عبد .. وهو رب وفى نفس الوقت عبد لله تعالى .. فالوجود وحدة واحدة لا فرق فيها بين عبد ورب ..

ويظهر لنا من هذا النص تأثر ابن عربى بنظرية الفيض التى قال بها « أفلوطين » والتى تقول : بما أن الله واحد ، والوجود واحد .. فان هـذه الكائنات قد صـدرت عن الواحـد بفيض منه .. اذن فهما واحـد ..

لذا نراه يقول : أن العبد يعرف نفسه بنفسه أولا .. فهذه معرفة ..

ثم يعرف الله عن طريق نفسه الموجودة ، التى لابد لها من موجد وهو الله تعالى .. وهذه معرفة ثانية ..

كما أن الله يعرف نفسه بنفسه .. وهذه معرفة ..

وقد صدر عنه هذا الوجود حتى يعرفوه عن طريق وجودهم .. فهذه معرفة ثانية ..

واذا أردنا مزيداً من التبسيط .. نقول مع بعض الفلاسفة : ان « العملة ذات وجهين » .. وهى فى الحقيقة عملة واحدة تحمل وجهين .. ويشترك هذان الوجهان فى كونهما عملة واحدة ، وهكذا تكون المعرفة واحدة ولكن لها وجهان .. وجه من جهة الله للعبد ، ولله لله .. ووجه آخر من جهة العبد للعبد ، والعبد لله ..

ما كان أغنانا عن هـذا التمنطق الذى يقود الى التزندق .. ولا يضيف الى العقيدة السليمة شيئا .. فنقول : ان الله تعالى يقول للنفس المطمئنة : « **فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى** » . فالمعنى — والله أعلم — ادخلى فى عبادى الصالحين ، أدخلك جنتى التى هى دار المتقين ..

● ويقـول جل شـأنه : « **قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** »(٢٨) .

---

(٢٨) الشمس : ٩ ، ١٠ .

أى قد أفلح من زكى نفسه بتطهيرها من الكفر والمعاصى .. وأصلحها بالطاعات من الأعمال .. وقد خاب وخسر من دسس نفسه فأخملها بركوب المعاصى وترك طاعة الله ..

ولكن ابن عربى يفسرها بقـوله : ... « تحقيق هذا الذكر أن النفس لا تزكو الا بربها .. فيه تشريف وتعظيم فى ذاتها .. لأن الزكاة ربو .. فمن كان الحق سـمعه وبصره وجميع قواه ، والصورة فى الشاهد صورة خلق .. فقد زكت نفس من هذا نعته ، وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .. كالأسماء الالهية لله ..

« والخلق كله بهذا النعت فى نفس الأمر .. ولولا أنه هكذا فى نفس الأمر ما صح بصورة الخلق ظهور ولا وجود .. ولذلك خاب من دساها لأنه جهل ذلك فتخيل أنه دسها فى هذا النعت ، وما علم أن هذا النعت لنفسه نعت ذاتى لا ينفك عنه ويستحيل زواله .. لذلك وصـفه بالخيبة حيث لم يعلم هـذا .. ولهـذا قال : « قد أفلح » نفرض له البقاء .. والبقاء ليس الا لله .. أو لمـا كان عند الله ، وما ثم الا الله أو ما هو عنده .. فخزائنه غير نافدة ، فليس الا صور تعقب صوراً » . [الفتوحات ج ٤ ، ص ١١٩]

ومع هذا .. يطلب منا الآلوسى عدم القول بظاهر هذه الأفكار الشـاذة .. مع ما نحن عليه من قصور .. وأنه يجب علينا كلما وجدنا مثلها لواحد منهم أن نسـلمه لهم بالمعنى الذى أرادوه مما لا نعلمه بعقولنا المشوبة بالأوهام .. ثم يكلفنا بأن نعتقد — بعد ذلك — أن الأمر هو — كما أقسم عليه — وراء ذلك ؟ !

لا والله .. اننا لا نملك أبدا الاستجابة لطلب الآلوسى ، وليست لدينا القدرة على الخضوع لتكليفه .. انما ندين بالطاعة لله ولرسوله ، ولا شىء وراء ذلك ..

ويقول عبد الغنى النابلسى — من هذا المنطلق : « ما ثم الا ذات ، وصفات ، وصفات صفات ، وهى : الأفعال ، والمنفعلات ..

فالأول : هو المعبود ، والثانى : هو الموصل اليه وهو الواسطة ، والثالث : هو العابد ، والرابع : هو العائق والمانع ..

والأول : مرتبة الله تعالى ، والثانى : مرتبة محمد ﷺ ، والثالث : مرتبة المؤمنين ، والرابع : مرتبة الشيطان ..

وهذه الأربعة فى الحقيقة .. شىء واحد ، ولكنه تنزل وتفضل ، فظهرت هذه الأطوار ، وتعددت وجوداته ..

فالوجود العينى : مرتبة الذات ، والوجود العلمى : مرتبة الصفات ، والوجود القولى : مرتبة الأفعال ، والوجود الرقمى : مرتبة الانفعالات..

وهذه الأربع وجودات .. هى صورة الحق ، وقد خلق الله آدم مشتملا على هذه الصورة . قال النبى ﷺ : « ان الله خلق آدم على صورته » . وفى رواية : « على صورة الرحمن » فهو مرآة الحق .. فيوجد آدم فى عينه ، فهى مرتبة الذات .. ويوجد آدم فى علم الله تعالى ، وهى مرتبة الصفات .. ويوجد فى القلم الأعلا ، وهى مرتبة الأفعال .. ويوجد فى اللوح المحفوظ ، وهى مرتبة الانفعالات .. فقد تمت لآدم هذه الوجودات الأربع ..

وكل عالم من عوالم الله تعالى له آدم وبنوه من جنسه .. وكل نبى ورسول من جنسه ، ويقرب ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنه فى آية : « **ومن الأرض مثلهن** »(٢٩) .. قال : فى كل أرض مثل ابراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق ، قال ابن حجر : اسناده صحيح .. وأخرجه الحاكم والبيهقى : « فى كل أرض آدم كآدمكم ، ونوح كنوحكم ، وابراهيم كابراهيمكم ، وعيسى كعيسى ، ونبى كنبيكم » ..

هذه الوجودات الأربعة المذكورة لهذا الشىء الواحد ، وهو الوجود الذاتى على التنزيه ، وهو العينى .. والوجود الصفاتى على التنزيه ،

---

(٢٩) الطلاق : ١٢

وهو العلمى .. والوجود الأفعالى على التنزيه ، وهو القولى .. والوجود الانفعالى على التنزيه ، وهو الرقمى ..

فهو الله فى عالم الذات العلية ، ومحمد ﷺ فى عالم الصفات السنية ، والمؤمن فى عالم الأفعال ، والشيطان فى عالم الانفعال ..

قال الله تعالى : «**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**»(٣٠) ، وقال : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله**»(٣١) .. وقال فى الحديث القدسى : « ... كنت سمعه وبصره » الحديث .. وقال : « **ويحذركم الله نفسه** »(٣٢) .. وفى الحديث : « أعوذ بك منك »(٣٣) .

لقد سلك ابن عربى — فى تفسيره للقرآن الكريم — مسلكا غريبا .. فهو يفسر الآيات ويخضعها لنظرية وحدة الوجود التى يدين بها .. وقد سلك غيره — أمثال البسطامى والحلاج والنابلسى — المسلك نفسه أو قريبا منه ..

والمعنى الذى يقصدونه من وحدة الوجود .. أنه « ليس هناك الا وجودا واحدا .. وكل العالم مظاهر ومجال لهذا الوجود .. فالله سبحانه هو الموجود الحق ، وكل ما عداه ظواهر وأوهام لا توصف بالوجود الا بضرب من التوسع والمجاز » !!

لقد سرت هذه النظرية الى التصوف الاسلامى — كما قدمنا — عن طريق الفلاسفة ، وعن طريق الاسماعيلية والباطنية الذين خالطوهم وأخذوا عنهم مذهبهم القائل بحلول الاله فى أئمتهم .. وصوره الصوفيون بصورة أخرى تتفق مع مذهب الباطنية فى الحقيقة ، وان اختلفت فى الاصطلاح والألفاظ ..

---

(٣٠) الصافات : ١٨٠ (٣١) النساء : ٨٠

(٣٢) آل عمران : ٢٨

(٣٣) انظر : « الفتح الربانى ، والفيض الرحمانى » لعبد الغنى النابلسى ، حققه عبد القادر احمد عطا ، ونشرته دار التراث العربى باسم : « حقائق الاسلام وأسراره » ١٩٨٦ ص ٣٥ ، ٣٦

وهذا ما سوغ لابن عربى أن يقول : « ان عجل بنى اسرائيل أحد المظاهر التى اتخذها الله وحل فيها » .. وحاشا لله !!

وهذا ما جره — فيما بعد — الى القول بوحدة الأديان كلها .. لا فرق بين سماوى منها وغير سماوى .. اذ الكل — فى نظره — يعبدون الاله الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات .. وسبحان الله عما يأفكون !!

وهذا ما سوغ للحلاج أن يقول : « أنا الله » — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا !!

وبعد .. فان الله تعالى يقول : **« ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير »**(٣٤) .

* * *

يقول الدكتور يوسف القرضاوى — جزاه الله خيرا — : « اذا عرفت أن الايمان بالله هو جوهر العقائد الاسلامية جميعا .. فواجبك أن تعرف هنا كذلك أن توحيد الله هو جوهر الايمان بالله تعالى .. واذا تجرد عن التوحيد الحق كان كفراً وشكاً ، ورجساً وزوراً ، وظلما عظيما وضلالا مبينا ..

« ولهذا كان لزاما عليك أن تعرف حقيقة التوحيد الذى أمر الله به ، وأقام عليه دينه ، وأنزل به كتابه ، وبعث به رسوله ، وعلق خيرى الدنيا والآخرة على تحقيقه وتجريده ، وجعل الجنة لأهله وأنصاره ، والنار لخصومه وأعدائه .. فان كثيرا من الطوائف نسبوا أنفسهم الى التوحيد وادعوا أن ما هم عليه هو التوحيد الخالص .. وما عليه غيرهم هو الباطل »(٣٥) .

---

(٣٤) الحج : ٦٢

(٣٥) حقيقة التوحيد ، للدكتور يوسف القرضاوى ، نشر مكتبة وهبة ١٩٨٥ ، ص ١٣ وما بعدها ..

ثم يقول فضيلته — وهو بيت القصيد : « وهل أتاك نبأ دعاة وحدة الوجود ؟ ..

« انهم يزعمون أنهم وحـــدهم الموحدون ، ومن عداهم فهم المعددون ! ..

« فهل علمت ما توحيدهم المزعوم ؟ ؟

« توحيدهم أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه !! .. وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود وحقيقته وماهيته !! .. وأنه آية كل شيء ، وله فيه آية تدل على أنه عينه !!

« وهذا عند محققيهم من خطأ التعبير .. بل هو نفس الآية ، ونفس الدليل ، ونفس المستدل ، ونفس المستدل عليه !!

« فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية لا بالحقيقة والوجود .. فهو — عنـــدهم — عين الناكح وعين المنكوح ، وعين الذابح وعين المذبوح ، وعين الآكل وعين المأكول !!

« وهذا عندهم هو السر الذى رمزت اليه هوامس الدهور الأولية .. ورامت افادته الهداية النبوية .. كما قال محققهم ابن سبعين !!

« ومن فروع هذا التوحيد — أى الوحدة — وثماره : أن فرعون ونمروذ وأمثالهما مؤمنون كاملو الايمان .. عارفون بالله على الحقيقة !!

« وأن عباد الأصنام .. انما عبدوا عين الله لا غيره ، فهم على الحق الصواب !!

« وأن لا فرق فى التحليل والتحـــريم بين الأم والأخت وبين الأجنبية !! ، ولا بين المـــاء والخمر ، ولا بين الزواج والزنا !!

« انكل عين واحدة ، بل هو العين الواحدة .. وأن الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس ، وبعدوا عليهم المقصود .. والأمر وراء ما جاءوا به ودعوا اليه »[٣٦] !!

---

(٣٦) المرجع السابق ..

ثم يضيف فضيلته : « ... وهل يجهل ذو بصيرة توحيد المضللين من عوام المسلمين .. وتوحيد مضليهم ممن يدعون المشيخة ويتزيون بزى الدين ورجاله الصالحين ؟

« انهم يدعون غير الله .. ويرجون ويخافون غير الله ممن ادعوا لهم أنهم أولياء أو أقطاب أو أوساط أو أبدال .. أو غير ذلك من الألقاب !!

« فهم يطوفون بأضرحتهم .. يسألونهم أكثر مما يسألون الله .. ويستعينونهم أكثر مما يستعينون الله .. ويهرعون اليهم فى الملمات ، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات .. بدعوى أنهم وسطاء بينهم وبين الله .. ولولا الواسطة لذهب — كما قيل — الموسوط »[٣٧] !!

* * *

ونقول : ان الزعم بوحدة الوجود .. هو ادعاء فاجر ، بنى على خرافة أن الكون كله قد انبثق عن نواة واحدة .. وأن الله تعالى هو هذه النواة .. وما أسماؤه وصفاته الا أجزاء هذا الكون ومظاهره من كل ناطق وصامت ، وساكن ومتحرك !!

وتزعم هذه النظرية الضالة .. بأن كل عابد مهما عبد من انسان أو حجر أو شجر أو كوكب أو حيوان .. فما عبد الا الله !!

وأن الكون كله .. سوف يعود يوم القيامة الى نواته الأولى .. وهى — فى زعمهم — الله تعالى .. فلا جنة ولا نار ، ولا ثواب ولا عقاب .. بل يصير الى ما يزعمه مبتدع هذه النظرية : يصير العذاب نعيماً .. وجهنم جنة ، ولا عذاب ولا عقاب .. الا نعيم وأمان ، بمشاهدة العيان » !!

أرأيتم كيف قادهم القول الفاجر بوحدة الوجود الى الزيغ والضلال ؟ !

وأى زيغ وأى ضلال .. أكبر من ادعاء أن الله تعالى هو عين

---

(٣٧) نفس المرجع ..

الناكح وعين المنكوح ، وعين الذابح وعين المذبوح ، وعين الآكل وعين المأكول ؟ ! — تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ..

ان هذه النظرية الضالة .. هى التى سوغت للحلاج أن يقول : « أنا الحق .. وما فى الجبة الا الله » !!

وهى التى سوغت لأبى يزيد البسطامى .. أن يخترع قصة التقائه مع القطب ، وقوله له : اذا رأيتنى فقد رأيته وطفت حول الكعبة .. واذا عبدتنى فقد عبدته وسجدت له ، فلا تظنن أننى شىء غيره » !! وهو قول لا يجرؤ عليه الا « ابليس اللعين » ، فما رأى أبو يزيد الا شيطانه !!

هذه العقيدة .. هى التى سوغت للشاذلى أن يقول :

وان عبد النار المجوس وما انطفت ... كما جاء فى الأخبار فى كل حجة
فما عبدوا غيرى وما كان قصدهم ... سواى وان لم يضمروا عقدنيتى (!!)

وسوغت لابن عربى أن يقول : « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » !!

وأن يقول :

فيحمدنى وأحمده ... ويعبدنى وأعبده (!!)

وأن يقول :

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى ... اذا لم يكن دينى الى دينه دانى
فأصبح قلبى قابلا كل حالة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن (!!)

هذه العقيدة .. هى التى سوغت للجيلى أن يقول :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهما ... سواى فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال وانننى ... جمال جلال الكل ما أنا الا هو (!!)

ثم يقول :

ولى رب للأنام وسيد جميع الورى اسمى وذاتى مسماه

وسوغت للحلاج أن يقول :

أنا من أهـوى ومن أهـوى أنا ... نحـن روحـان حللنـا بـدنا
فـاذا أبصرتنـى أبصرتـه ... واذا أبصرتـه أبصرتنا (!!)

وهى التى سوغت لبهاء الدين البيطار أن يقول :

وما الكلب والخنزير الا الهنـا ... وما الله الا راهب فى كنيسة (!!)

هل لا يزال « الآلوسى » يطلب منا عدم القول بظاهر هذه الأفكار مع ما نحن عليه ؟ !

هل لا يزال يطلب منا أن نسـلم لهم القـول بالمعنى الذى يريدونه مما لا نعلمه نحن ولا يعلمه هو ؟ !

هل لا يزال يقسم بالله تعالى .. أن الأمر وراء ذلك ؟ !

ليس لمخلوق أدنى حق فى لومنا حين نقول : ان هـذه العقائد والأفكار الدخيلة على الاسلام .. لا تخدم معتنقيها بل تخرجهم عن الايمان ان لم يتوبوا منها ويقلعوا عنها ..

انهم يسمون هذا التجديف شطحاً .. ويدعون أنهم تنتابهم أحوال ومواجيد فلا يدرون بما ينطقون !!

ويزعمون أن عقيدتهم هذه لا تقرأ فى الكتب ، ولا تتلقى عن الأنبياء والرسل .. انما هى معانى يقذفها الله تعالى فى قلوبهم !!

ان هذا هو الجنون بعينه ، ان لم يكن هو الضلال نفسه !!

لقد كان أبو يزيد البسطامى عندما يسـمع القارىء يتلو قول الله تعالى : « **ان بطش ربك لشديد** »(٣٨) ، يقول : وعزتى وجلالى .. ان بطشى لأشد من بطشه !!

ويروى عنه أنه قال : قلت يوما : سبحان الله .. فنادانى الله فى سرى : هل فى عيب تنزهنى عنه ؟ قلت : لا يارب .. فقال : فنفسك

---

(٣٨) البروج : ١٢

نزه عن ارتكاب الرذائل .. فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل وتحلت بالفضائل .. فصرت أقول : سبحانى سبحانى ، ما أعظم شأنى ، الجنة لعبة صبيان !!

ماذا نسمى مثل هذه الأقوال الشاذة ؟ .. أهى تجليات وكشف ، أم شطحات ووجد ، أم جنون وخبال ؟ ؟

ولكنها عقيدة الوحدة ، والزعم بوحدة الوجود ، وادعاء أن العبد رب والرب عبد .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..
ان الدين عند الله الاسلام .. والاسلام دين التوحيد الكامل ..

ومع هـذا يسمون توحيدنا أوحالا .. ويبتهلون الى ربهم أن ينتشلهم من أوحال التوحيد ، وأن يغرقهم فى بحار الوحدة .. ويقولون فى أورادهم : « اللهم انشلنى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة .. حتى لا أرى ، ولا أجد ، ولا أحس الا بها » ..

اللهم انهم يسمون توحيدنا أوحالا .. ويسمون عقيدتهم الضالة وحـدة ..

اللهم أغرقنا فى أوحال التوحيد — كما يسمونها — وأنقذنا يارب من بحار الوحدة التى يزعمونها .

انهم يدعون المحبة لله تعالى ، وأنهم قد بلغوا فى حبهم المزعوم درجة العشق والوجد !! .. وكتبوا فى عشقهم ووجدهم أشعارا بالغة الغرابة ، انفردوا بها من دون الناس جميعا .. فيجيزون للشاعر منهم باسم الشطح والوجد والعشق الالهى أن يطلق نفسه على سجيتها .. فاذا هو ينطلق مع حبه المزعوم لله انطلاقا يعبر فيه عن ذات قلبه تعبيرا غزليا انسانيا مستفيضا .. بل ويعبر عن تلك المحبة تعبيرا حسيا عما يجرى بين المحبين فى بعض المواقف ويستحى الناس من ذكره !!

فلا نكاد نعرف من أى أنواع الحب ينطلق معه صاحب هذا القلب .. ولا من أى أنواع الغزل هذا الشعر ؟ !

فهل يجوز — مثلا — لابن الفارض — أن يخاطب الله عز وجل بقوله :

تـه دلالا فأنت أهـل لذاكـا وتحكم فالحسن قد أعطاكا (!!)

أو بقـوله :

قلبى يحـدثنى بأنك متلفـى ، روحى فداك عرفت أم لم تعرف(!!)

وهل يصح أن يذهب به الوجد والشطح الى قوله :

ان كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقـد ضيعت أيامى
أمنيـة ظفرت روحى بهـا زمنا واليوم أحسـبها أضغاث أحلام
وأن يكن فرط وجدى فى محبتكم اثما فقد كثرت فى الحب آثامى
ولو علمت بأن الحب آخـره هـذا الحمام لمـا خالفت لوامى
أودعت قلبى الى من ليس يحفظه أبصرت خلفى وما طالعت قدامى
لقد رمانى بسـهم من لواحظه أصمى فؤادى فواشوقى الى الرامى(!!)

وهل يصح أيضا أن يتحدث المحب عن محبوبه الالهى بمثل ما يتحدث الشاعر نفسه عما يهوى من ردف ثقيل فى محبوبه .. وذلك فى قوله :

أهـواء مهفهفـاً ثقيـل الردف كالبدر يجل حسـنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت يارب عسى تكون واو العطف (!!)

وأخيراً .. هل يصـح فوق هـذا كله .. أن يتحدث المحب عن اتصـاله بمحبوبه الأسمى ، هذا الحديث المسرف فى ألفاظه المـادية وصوره الحسية .. وذلك على نحو ما يتحدث نفس الشـاعر فى هذين البيتين :

ما أطيب ما بتنا معـا فى برد اذ لاصق خـده اعتناقا خـدى
حتى رشحت من عرق وجنتـه لازال نصيبى منه ماء الورد (!!)

أهذا هو بحر الوحدة ، الذى يرجون أن يغرقوا فى عينه حتى لا يروا ولا يجدوا ، ولا يحسوا الا بها ؟ !

وصدق الله تعالى اذ يقول : « **والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين**

آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »(٤٩) .

* * *

● **صاحب النظرية .. بين خصومه وأنصاره :**

من الطبعى — وهذه أفكار ابن عربى — أن يقابلها الفقهاء بالحملات القاسية فى حياته وبعد مماته .. فقد تصدى لهذه الأفكار الكثير من علماء الشريعة — أهل السنة — أمثال : ابن الخياط ، والحافظ الذهبى ، وابن تيميـــة ، وابن اياس ، والتفتازانى ، وعلى القارى ، والامام جمال الدين بن محمد بن نور الدين .. وغيرهم ..

فقد وقفوا عند هذه الأفكار ولم يستطيعوا استساغتها : كمذهبه فى وحدة الوجود ، وقوله بايمان فرعون ، وما زعمه من التقائه بأرواح الأنبياء والأولياء السابقين ..

بالاضافة الى ما كان يفيض به من تعبيرات الشوق والهيام فى قصائد غزلية .. يظنها السامع أوالقارى ، موجهة الى انسان ، ولكنها فى حقيقتها موجهة الى المعانى الروحية التى يحس بها ، وان استعمل فيهـــا الألفاظ الحســـية — جريا على طريقة الصـــوفية فى رموزهم واشاراتهم ..

كما كان من الأسباب التى أدت الى مهاجمته : ما كان يحدث به عن التجليات والاشراقات التى يزعم حدوثها له ، ولا يجد لها الناس علة عقلية ممكنة ..

ومن الطبعى أيضا .. أن يجد له أنصارا ومريدين ، يدافعون عنه ويتحمسون لأفكاره أمثال : الفيروزابادى ، والمخزومى ، والزملكانى ،

---

(٣٩) الشعراء : ٢٢٤ — ٢٢٧ ، وانظر كتاب : ابن الفارض .. سلطان العاشقين ، للدكتور محمد مصطفى حلمى ، سلسلة اعلام العرب (١٥) ، ١٩٦٣ ، ص ٢٤٠ — ٢٤٣

والحموى ، والصفدى ، والسهروردى ، والخجندى ، والكاشى ، والرازى ، ومحمد المغربى ، وابن جماعة ، والبلقينى ، والسبكى ، والجلال السيوطى ، والقاشانى وغيرهم ..

● ويزعم المدافعون عن نظرية وحدة الوجود .. أنها ناتجة لديهم عن طول تأملهم فى آيات الله وآلائه التى أبدعها ، فبدا عليها أثر خلقه وانشائه وابداعه ..

فنور الله وقدرته وجلاله وجماله .. يبدو على هذه الآيات كما يبدو تأثير المؤثر فى الأثر ..

ويقرب من هذا المعنى — فى نظرهم — ما أراده ذو النون المصرى حين هتف يناجى ربه : « الهى ، ما أصغيت الى صوت حيوان ، ولا الى حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقعة رعد .. الا وجدتها شاهدة بواحدنيتك ، دالة على أنه ليس كمثلك شىء » ..

وعلى هذا .. فوحدة الوجود فى رأيهم غيرها فى رأى الغربيين والمستشرقين .. لأنهم — كما يدعون — يفرقون بين الله والعالم ، ولكنهم يرون أن هذا العالم الظاهر لا وجود له حقا ، وانما الوجود الحق لله تعالى ، فليس هو العالم ولا العالم هو ..

أما غيرهم فيرون أن الروح والمادة شىء واحد ..

ووحدة الوجود — عندهم — قائمة على المعرفة الحقيقية لله .. وفى هذا يقول معروف الكرخى : « اذا انفتحت عين بصيرة العارف نامت عين بصره فلا يرى الا الله » ..

ويعبر عنها حسن رضوان فى كتابه « روض القلوب المستطاب » بقوله :

وكل ما سواه نجم آفل بل فى شهود العارفين باطل

ثم يعلق على ذلك بقوله : « ان كل ما سوى الله تعالى من الأعيان الظاهرة والماهيات الممكنة ، علويه أو سفليه ، باطل فى شهود العارفين

من حيث ذاته ، فلا حقيقة له أزلا وأبدا ، وانما الموجود حقيقة كذلك هـو ذات الحق تعالى ، وليس لتلك الأعيان والماهيات الظاهرة وجود حقيقى ذاتى لها » ..

وعلى هذا الفهم .. يفسرون كلام ابن عربى ، الذى يفهم منه فكرة وحدة الوجود ، والذى يتلخص فى قوله فى الفتوحات : « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها »[٤٠] .

وقوله فى الفصوص :

يا خالق الأشياء فى نفسه ... أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهى كونه ... فيك فأنت الضيق الواسع

فالمعنى الذى يقصده ابن عربى — فى رأيهم — وان كان يوهم فى ظاهره فكرة الوحدة بين الخالق والمخلوق ، لا ينبغى أن يفهم الا على أساس فهمهم من هذه الوحدة ويقصدون منه أنه لا موجود على الحقيقة الا الله تعالى !!

هذا ما يقوله أنصار ابن عربى ومريدوه !!

* * *

● وأول ما يدفع به الصوفيون انكار المنكرين على ابن عربى ، هو زعمهم بأنه قد دست عليه الكثير من الآراء التى لم يقلها !!

يقول الشعرانى — وهو من أقطاب الصوفية — : « وقد توقفت حال الاختصار — يعنى للفتوحات — فى مواضع كثيرة منه ، ولم يظهر لى موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة ، فحذفتها من هذا المختصر .. وربما سهوت فتبعت ما فى الكتاب ، كما وقع للبيضاوى مع الزمخشرى ، ثم لم أزل كذلك أظن أن المواضع التى حذفت ثابتة عن الشيخ محيى الدين ، حتى قدم علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين السيد محمد ابن السيد أبى الطيب — المتوفى عام ٩٥٥ هـ — فذاكرته فى ذلك ، فأخرج الى نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة التى عليها خط للشيخ محيى الدين نفسه بـ « قونيه » ، فلم أر فيها شيئا مما توقفت فيه وحذفته ، فعلمت أن النسخ التى فى مصر الآن كلها كتبت من

---

(٤٠) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٦٠٤

النسخة التى دسوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة ، كما وقع له ذلك فى كتاب الفصوص وغيره » ..

ونحن نقول : هكذا الشأن معهم دائما : الانكار ، ثم التشكيك ، ثم التأويل !!

ولنا فى هذا تجربة ..

حدث ذلك عندما نقلنا عن « الطبقات الكبرى » للشعرانى بعض النصوص التى تخالف العقيدة ، ولا تتفق مع بدائه العقول ، لمناقشتها فى كتابنا « من وصايا القرآن الكريم » .. فقوبلنا أولا بالانكار .. اذ نفوا وجود هذه الأفكار التى تعرضنا لها ، بل وأنكروا وجودها تماما .. معتمدين فى ذلك على ندرة هذه المراجع أو ارتفاع أثمانها ، بحيث يتعذر الحصول عليها أو الرجوع اليها !!

فلما جابهناهم بالمراجع التى أخذنا عنها .. عمدوا الى التشكيك ، فادعوا أنها من الدخيل عليهم مما دسه خصوم الشعرانى عليه !!

فلما قلنا : كيف يكون هذا ، وأنتم تعتمدون على هذه المراجع نفسها .. تنقلون عنها وتحتجون بها ؟ ! ..

أيكون الدليل صحيحا اذا كان فى أيديكم ، ثم يصبح هذا الدليل نفسه زائفا اذا انتقل الى أيدينا ؟ !

ولماذا لم ترفعوا هذا الدخيل المدسوس من مراجعكم اذا كان ما تدعون صحيحا ؟ !

عندئذ لجأوا الى التأويل .. فقالوا : ان هذه النصوص تحوى من المعانى الباطنة والعلوم اللدنية ما لا يدركه سوى الخواص من الصوفيين — لأنهم أهل الحقيقة — أما طبقة العوام — وهم أهل الشريعة — فانهم لن يصلوا أبدا الى أسرار هذه الأفكار لكونها محجوبة عنهم !!

وهكذا دأبهم دائما !!

* * *

● ويذهب البعض — ومنهم الشيخ محمد عبده ، والدكتور محمد حسين الذهبى — الى أن تفسير ابن عربى للقرآن الكريم من عمل عبد الرزاق القاشانى ، ونسبه لابن عربى ترويجا له بين الناس ، وتشهيرا له بشهرة ابن عربى !!

ويقول الشيخ محمد عبده : « وقد اشتبه على الناس فيه — أى فى التفسير الاشارى — كلام الباطنية بكلام الصوفية ، ومن ذلك : التفسير الذى ينسبونه للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى ، وانما هو للقاشانى الباطنى الشهير ، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز »(٤١) .

وقد أيده فيما ذهب اليه الدكتور الذهبى عندما تعرض لتفسير ابن عربى فى الجزء الثانى من كتابه « التفسير والمفسرون » ..

ونحن اذا سلمنا بهذا القول ، وأن هذا التفسير من عمل القاشانى ، — وأنه قد نسبه لابن عربى ترويجا له بين الناس ، وتشهيراً له بشهرة المنسوب اليه — فلا نملك أبدا اغماض عيوننا عن موافقة ما جاء بهذا التفسير من آراء وأفكار تتفق مع المبادىء التى بثها ابن عربى فى مؤلفاته كلها كالفتوحات ، والفصوص .. وغيرها ..

* * *

● وينبرى الشعرانى للدفاع عن زعم ابن عربى بايمان فرعون .. فيقول فى اليواقيت والجواهر : « ذكر فى الباب الثانى والستين من الفتوحات ، بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين .. والفتوحات من آخر مؤلفاته ، على أنه اذا ثبت ذلك فى وروده عنه ، فانه لم ينفرد وحده بهذا الرأى ، فقد ذهب بعض السلف الى قبول ايمانه — أى فرعون — لما حكى عنه الله أنه قال : **« آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين »**(٤٢) وكان هذا آخر عهده بالدنيا .. وقال أبو بكر الباقلانى : قبول ايمانه هو الأقوى

---

(٤١) تفسير المنار ، ج ١ ص ١٨ (٤٢) يونس : ٩٠

من حيث الاستدلال ، ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره ، ودليل السلف والخلف على أنه آمن عند اليأس ، وايمان أهل اليأس لا يقبل »(٤٣) .

ويقول صاحب نفح الطيب فى معرض الدفاع عن ابن عربى : « ان بعض العلماء ، تأول قول محيى الدين بايمان فرعون ، أن مراده بفرعون : النفس .. بدليل قوله :

قلبـــى « قطبى » وقالبى أجفـــانى
سرى « خضرى » ، وعينه عرفانى
روحى «هارون» ، وكليمى «موسى»
نفسى «فرعون» ، والهوى «هامانى»

ولهـــذا يحملون كلامه على محمل الاشارات الصوفية التى يدق فهمها على كثير من العقول !!

● ويعللون ما يزعمه من لقائه بأرواح الأنبياء والأولياء السابقين ، بأن هذه حالة خاصة لبعض الذين اصطفاهم الله من عباده ، لأن الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .. وليس هناك تعارف أعظم من الاجتماع على معرفة الله ، فتلك هى الألفة التى تربط بين الأرواح العارفة برباط المعرفة المتين ، وليس ما يمنع لقاء هذه الأرواح التى لا يقف أمامها حجاب ، ولا يحول دون لقائها حس !!

● أما تعبيرات الشـــوق والهيام التى كانت تفيض بها قصائده الغزلية .. فيقول أنصاره بأنه لم ينفرد وحده بهذه الرموز فى التعبير عن روحانياته .. ولكن كثير منهم لجأ الى ذلك لأن الكثير من نزعات الصوفية يخالف ظاهر الشريعة ، فلا يمكن الافصاح عنها خوفا من سلطان الفقهاء الذين كانوا يتبعون الصوفية بالنكير والتشهير !!

بالاضافة الى أن اللغة العادية تقصر عن أداء كل ما عندهم من معان .. لأنها تقوم على الذوق أكثر مما تقوم على المنطق !!

---

(٤٣) اليواقيت والجواهر ، للشعرانى ، ص ٦٦

فليس أمام الصوفية من وسيلة يمكن التعبير بها عن معانيهم وأذواقهم الا الرمز الذى لم يجر على قاعدة واحدة سار عليها الصوفية .. وانما تختلف باختلاف الموضوعات التى يتناولونها !!

● وينسب المدافعون عن التجليات والاشراقات — التى كان ابن عربى يزعم حدوثها له — بأنها من الخوارق التى تظهر للأولياء .. وهى فى حقيقتها من اكرامات الله لهم .. يفيضها عليهم تقوية لعزائمهم، وحثا لهم على الجهاد ، وتأنيسا لهم فى مضيهم نحو غايتهم ، وأن ما يحدث لهم من اشراق على بعض الأجسام المادية انما هو أثر من آثار تجلى الجمال الالهى الذى يحيل الظلام نورا ، والحس معنى ، والمادة روحا !!

وفى هذا يقول الشعرانى عنه : « انه من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقى ، فتلألأت سبحاته بالأنوار الساطعة الى يوم التلاق .. وحكم على من تعرض لتخطئته أو تكفيره بالجهل والحرمان ، وعدم الفهم وضعف الايمان »(٤٤) !!

ويقول ابن العماد : « وقع له فى تضاعيف كتبه كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها .. وكانت سببا لاعراض كثيرين ممن لم يحسنوا الظن به ، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة المحققين ، والعلماء العاملين ، والأئمة الوارثين : ان ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد ، وانما أمور اصطلح عليها متأخرو أهل الطريق غيرة عليها حتى لا يدعيها الكذابون ، فاصطلحوا على الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة خلاف المراد ، غير مبالين بذلك لأنه لا يمكن التعبير عنها بغيرها » !!

هذا هو ابن عربى .. صاحب نظرية وحدة الوجود .. وهذه هى خلاصة آراء أعدائه وأنصاره .. أوردناها حتى لا نتهم بالتحيز ضد الرجل ..

وفى الوقت الذى أعجب به أتباعه ومريدوه حتى لقبوه فيما بينهم

---

(٤٤) المرجع السابق ص ١٥

بالشيخ الأكبر ، والعارف بالله .. كان أعداؤه والناقمون عليه يرمونه بالكفر والزندقة .. وما ذلك الا لما كان يدين به من القول بوحدة الوجود ، ولما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة .. التى تحمل فى ظاهرها كل معانى الكفر والزندقة ..

ويقول السيوطى : « والقول الفصل فى ابن عربى ، اعتقاد ولايته ، وتحريم النظر فى كتبه ، فقد نقل عنه هو أنه قال : « نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا » .. قال السيوطى : « وذلك لأن الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلحوا عليها ، وأرادوا بها معانى غير المعانى المتعارفة ، فمن حمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفر .. نص على ذلك الغزالى فى بعض كتبه وقال : انه شبيه بالمتشابه من القرآن والسنة ، من حمله على ظاهره كفر » !!

والسيوطى — رحمه الله — كان من أشد المتحمسين لابن عربى .. حتى لقد صنف كتابا فى الدفاع عنه أسماه « تنبيه الغبى ، على تنزيه ابن عربى » !!

* * *